

مدينة فاس التاريخية رؤية جديدة في تاريخ التأسيس ودلالات التسمية

طارق يشبي

باحث دكتوراه - كلية الآداب - ظهر المهرز
مختبر الجيولوجيا التاريخية والتوثيق
للتراث المغربي - المملكة المغربية



مُلخَص

استطاعت قضية تأسيس مدينة فاس أن تحظى باهتمام عدد كبير من الباحثين، الذين عجزوا عن الحسم في هذه الإشكالية التاريخية بالاعتماد على النصوص المصدرية لوحدها، وناقش هذا المقال هذه القضية انطلاقاً من مقارنة طبونيمي تاريخية، أي انطلاقاً من دراسة الأعلام المكانية الفاسية، ويؤكد نسبة التأسيس لإدريس بن إدريس، خاصةً أمام التطابق بين ما ورد في بعض الروايات المصدرية من جهة، والأعلام المكانية، التي ما زالت موجودة لحد الآن. وفي نقطة ثانية يناقش المقال قضية التسمية، لي طرح الفرضيات التي وصل إليها الباحثون حول الأصل اللغوي لكلمة "فاس"، بين من ذكر الأصل العربي، والأمازيغي، واللاتيني، لنصل في النهاية إلى خلاصة تعيد ترتيب الأحداث التي عرفتها المنطقة قبل وبعد بناء المدينة، والمتمثلة في وجود تجمع سكاني خضع للنمو الروماني واستفاد من حقوق المواطنة - إذا رجحنا انتماء كلمة فاس للمعجم اللغوي اللاتيني - فسميت المنطقة بـ "Fās"، وجاء فيما بعد إدريس بن إدريس، وأرسل عمير بن مصعب لاختيار موضع لبناء المدينة، فمر من منطقة "عين عمير" الحالية، وترك بصمة تدل على مروره، واختار موضعاً للمدينة التي يحتمل أنها كانت تضم منشآت عمرانية، ولم تكن فارغة تماماً، خاصة أن قبيلتي زواغة وبني يزغتن فاوضتا إدريس في بيع أراضيها - إن صدقت الرواية - وهذا دليل على وجود تجمع سكاني قبل البناء، بل أكثر من ذلك لا زالت الطبونيمية الحالية تشهد على تواجد عناصر بالمكان قبل بناء المدينة، ومنها عناصر مجوسية، حيث ضمت الشيبوية بيت نارهم، وقام هذا الأمير ببناء مدينة جديدة، فانطلق من الضفة اليمنى للوادي، إلا أنه وجد مشكلة قلة المياه وصعوبة انتقال مياه النهر إلى هذا المكان، فاحتفظ به ونقل مركز قراراته إلى الضفة اليسرى.

كلمات مفتاحية:

إدريس بن إدريس، إدريس بن عبد الله، المسكوكات المغربية، عين عمير، الروايات المصدرية

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ٢٤ أكتوبر ٢٠١٤
تاريخ قبول النشر: ١٣ يناير ٢٠١٥

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

طارق يشبي، "مدينة فاس التاريخية: رؤية جديدة في تاريخ التأسيس ودلالات التسمية". - دورية كان التاريخية. - العدد الثامن والعشرون، يونيو ٢٠١٥. ص ٢٥ - ٣٣.

مقدمة

لدراسات التي اهتمت بهذا الأمر، إلا أن مسألة الحسم في هذا الرأي أو ذاك تبقى مسألة صعبة، لذلك سنسعى من خلال هذا المقال إلى رصد حصيلة البحث في هاتين القضيتين من جهة، وطرح فرضيات جديدة يمكن أن تفتح نقاشاً أوسع من جهة ثانية، وسننطلق من الإشكاليتين التاليتين: إلى أي حد سيمكننا رصد مختلف الروايات التاريخية، وآراء الدراسات الحديثة من الحسم في تاريخ تأسيس المدينة؟ وإلى أي حد ستمكننا الطبونيمي (الأماكنية)

تعتبر قضية تأسيس مدينة فاس وما رافقها من روايات متعددة، محط تساؤل من قبل العديد من الباحثين الذين لم يحسموا في هذه القضية التاريخية بعد، خاصة أمام تأخر المصادر التي اهتمت بهذه القضية من الناحية الزمنية^(١)، وما رافق هذا التأخر من تعدد الروايات واختلافها، الأمر الذي يجعل من قضيتي تأسيس المدينة والدلالة التاريخية واللغوية لاسم "فاس" قضيتين تاريخيتين يلضهما الكثير من الغموض، وبالرغم من التراكم الكمي

الفاسية من رصد فرضيات جديدة حول هذه القضية؟ وما الدلالات التاريخية واللغوية لاسم "فاس"؟

أولاً: قضية تاريخ تأسيس مدينة فاس، ودور الطبونيميا في طرح نظريات جديدة

إن الحديث عن طرح فرضيات جديدة بخصوص تأسيس مدينة فاس يفرض علينا الوصول أولاً إلى حصيلة البحث في هذه القضية. سواء من خلال تصنيف الروايات المصدرية حسب فترة ورودها الزمنية من جهة، وحسب رأي أصحابها حول الشخصية التي قامت ببناء المدينة من جهة ثانية، ثم تحليلها والمقارنة بينها فيما بعد، وأيضاً من خلال الدراسات المهمة بهذا الجانب، لنصل في النهاية إلى طرح فرضيات جديدة بالاعتماد على زاوية نظر مستجدة، وهي علم الأماكنية أو ما يسمى بالطبونيميا.^(٢)

١/١- الروايات المصدرية التي اهتمت بقضية التأسيس:

ابن حوقل (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠-٩٩١م)، صورة الأرض

"وفاس مدينة جليلة يشقها نهر وهي جانبان يلهما أميران مختلفان، وبين أهل الجانبين الفتن الدائمة والقتل الذريع المتصل، ونهرها كبير غزير الماء عليه أرحية كثيرة، وهي مدينة خصبة مفروشة بالحجارة أحدثها إدريس بن إدريس..."^(٣)

أبو الحسن النوفلي انطلاقاً من البكري (قبل البكري

١٠٩٤هـ/١٠٩٤م)

"قال النوفلي ومات إدريس ولا ولد له وجارية من جواربه حبل...، وبعدما تكفل راشد بإدريس الثاني "أخذ بيع البربر له يوم الجمعة السابع من ربيع الأول سنة سبع وثمانين ومائة وهو ابن احدى عشرة سنة.. ثم نزل مدينة فاس في عدوة الأندلسيين وأقام بها شهراً وذلك سنة اثنتين وتسعين ومائة وكانت عدوة القرويين غياضاً في أطرافها أبيات من زواغة فأرسلوا إلى إدريس فدخل عندهم فأسس مدينة القرويين سنة ثلاث وتسعين..."^(٤)

يستشف من هذه الرواية أنها من بناء إدريس بن عبد الله، على الأقل عدوة الأندلس، بحيث أن النوفلي أشار إلى نزول إدريس بعدوة الأندلس، بمعنى أن هذه العدو كانت موجودة من قبل.

أبو عبيد الله البكري (١٠٩٤هـ/١٠٩٤م)

".. وأسست عدوة الأندلسيين في سنة اثنتين وتسعين ومائة وعدوة القرويين في سنة ثلاث وتسعين ومائة في ولاية إدريس بن إدريس ومات إدريس بمدينة وليلى من أرض فاس على مسافة يوم من جانب الغرب"^(٥)

مؤلف مجهول (ق ١٢هـ/١٢م)، الاستبصار في عجائب الأمصار

"ومدينة فاس محدثة، أسست عدوة الأندلس في سنة ١٩٢، وعدوة القرويين سنة ١٩٣ في ولاية إدريس بن إدريس الفاطمي، ومن ذريته إلى بفاس إلى اليوم ونحن في سنة ٥٨٧هـ [١١٩١م]"^(٦)

ابن سعيد (٦٨٥هـ/١٢٨٦م)^(٧)، انطلاقاً من كتابي مسالك الأبصار وصبح الأعشى

"وتم فائدة لأبأس بذكرها والتنبيه عليها ذكرها ابن سعيد في المغرب وهي أن فاسا القديمة هي أيضاً مدينتان، أقدمهما المعروفة بمدينة الأندلسيين، بنيت في زمان إدريس بن عبد الله الحسيني أحد خلفاء المغرب، ثم المعروفة بمدينة القرويين بنيت بعدها"^(٨). قال ابن سعيد في المغرب، وهي مدينتان، إحدهما بناها إدريس بن عبد الله أحد خلفاء الأدارسة بالمغرب، وتعرف بعدوة الأندلس، والأخرى بنيت بعدها، وتعرف بعدوة القرويين"^(٩)

الروض المعطار، للحميري (توفي حوالي ٧١٠هـ/١٣١٠م)

نقل نص صاحب الاستبصار حرفياً.^(١٠)

رواية ابن أبي زرع بخصوص تأسيس مدينة فاس (تأليف الكتاب

٧٢٦هـ/١٣٢٥-١٣٢٦م)

يرتبط تأسيس مدينة فاس -عند ابن أبي زرع- بالوفود التي وفدت على إدريس بن إدريس سنة ١٨٩هـ، بعد أن "توطأ له الملك، وكثر سلطانه، وعظمت جيوشه وأشياعه.. وضافت بهم المدينة، عزم على الانتقال عنها، وأراد أن يبني مدينة يسكنها هو وخاصته وجنوده ووجوه دولته.."^(١١)، فبرزت بذلك الفكرة، وانطلق إدريس بن إدريس في بحثه عن موضع يلاءم هذه المدينة، فاختر بداية منطقة "بسندة [زلاغ] مما يلي الجوف"^(١٢)، ولكنه عدل عن فكرته بعدما رأى الأخطار التي تهدد المنطقة والمرتبطة باحتمال وجود سيول يمكنها أن تهدد التواجد هناك، بل إن ابن أبي زرع يسوق رواية ابن غالب الذي يتحدث عن وقوع سيل "هلك فيه خلق كثير"^(١٣).

ثم انتقل إدريس إلى مواضع أخرى فاختر منطقة وادي سبو "ثم نظر إلى وادي سبو وكثرة ما يأتي به من المدود العظيمة"^(١٤)، فترجع عن فكرته ثانية، وأرسل وزيره ابن عمير، وكلفه باختيار منطقة تلائم إقامة مدينة، وهنا تبرز أول إشارة طبونيميا عن مدينة فاس، ويبرز نوع من "الهم الطبونيمي" عند ابن أبي زرع عندما ذكر نسبة عين عمير إلى هذه الشخصية^(١٥)، واستطاع هذا الأخير أن ينجح في مهمته، فاختر موضعاً كانت تستوطنه قبيلتي زواغة وبني يزغتن، وهنا تبدأ الإشارات الطبونيميا في الورد بشكل أكبر، فتم الاتفاق بين إدريس والقبيلتين، وتراضيا على بيع موضع عدوة الأندلس في البداية "من بني يزغتن بألفي درهم وخمسمئة درهم.. وذلك سنة إحدى وتسعين ومئة.. ثم اشترى موضع عدوة القرويين من بني الخير الزواغيين بثلاثة آلاف درهم وخمسمئة درهم، وشرع في بنائها"^(١٦)، وهنا نجد أن ابن أبي زرع يرجح رواية بناء إدريس الثاني للمدينتين، إلا أنه لا يذكر سبب هذا الفصل.

الجزنائي (٧٦٦هـ/١٣٦٤-١٣٦٥)

هذه الرواية هي رواية ابن أبي زرع نفسها، مع اختلافات بسيطة، حيث لا يورد الجزنائي توجه إدريس بن إدريس إلى نهر سبو، وسعى أيضاً إلى توخي الاختصار مقارنة مع ما قام به ابن أبي زرع من تفصيل.

الحسن بن محمد الوزان الفاسي (توفي بعد ١٥٥٠هـ/١٥٥٠م)،
وصف إفريقيا

"أسس مدينة فاس أحد الشيعة أيام الخليفة هارون الرشيد سنة ١٨٥ للهجرة.."^(١٧) "وعزم على أن يغادر الجبل ويؤسس مدينة يستقر فيها، وقد جمع لهذه الغاية عددًا من المعماريين والمهندسين فحصبوا بدقة كل السهول المجاورة للجبل ونصحه ببناء المدينة في الموقع الذي بنيت فيه، كانت هناك عيون عديدة ونهر كبير ينبع من سهل لا يبعد كثيرًا عن تلك العيون، ويمر بين تلال صغيرة لينحدر إلى شعاب في غاية الجمال، بعد أن يقطع السهل ويسيل بهدوء وسكينة على مسافة ثمانية أميال، كما كانت هناك غابة كبيرة في الجنوب تنفع المدينة كثيرا وتسد حاجاتها، هذا هو السبب الذي من أجله بنيت على الضفة الشرقية للوادي مدينة صغيرة تضم حوالي ثلاثة آلاف كانون.. ولما مات إدريس بنى أحد أبنائه مدينة أخرى في الجهة الغربية"^(١٨)

تضم هذه الرواية مجموعة من المعطيات التي اعتبرها كل من محمد حجي ومحمد الأخضر خاطئة، وأن الأمر اختلط على الوزان الفاسي، وهذه الأخطاء حسب المترجمين، تبدأ من تاريخ بناء المدينة حسب الوزان، الذي لم يورده أحد من المؤرخين السابقين، وتوضح بشكل أكبر عند حديثه عن بناء العدة الغربية من قبل أحد أبناء المولى إدريس الثاني.

ابن القاضي (ق ١٦/هـ ١٠م)، جذوة الاقتباس

إن رواية ابن القاضي في كتابه الجذوة، هي نفسها رواية ابن أبي زرع، فتأسيس المدينة حسب الطرفين مر بثلاث مراحل، المرحلتين الأوليتين كانتا فاشلتين، بينما نجحت الثالثة، بعد تكليف عمير بن مصعب الأزدي بهذه المهمة.^(١٩)

أبي عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني (ق ١٩م)، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس "وأسس - رضي الله عنه - المدينة الكبرى التي هي مدينة فاس، وكان مبدأ تأسيسه لها صبيحة يوم الخميس غرة ربيع الأول سنة اثنين وتسعين ومائة، ورفع يديه عند إرادة الشروع في بنائها."^(٢٠)

إن هذه العملية الأولى تظهر لنا بوضوح اختلاف المصادر في تحديد الشخصية التي اهتمت بتأسيس مدينة فاس، هل هو إدريس بن عبد الله أم إدريس بن إدريس؟ ويوضح الجدول التالي النتائج التي تم التوصل إليها:

الروايات المصدرة التي تؤكد بناء المدينة من قبل إدريس بن إدريس	الروايات المصدرة التي تؤكد بناء المدينة من قبل إدريس بن عبد الله
- ابن حوقل، صورة الأرض، (٣٨٠هـ/٩٩٠م)	- النوفلي (قبل ٤٨٧هـ/٩٩٠م)
- البكري، المسالك والممالك، (٤٨٧هـ/١٠٩٤م)	- ابن سعيد (٦٨٥هـ/١٢٨٦م)
- مؤلف كتاب الاستبصار (١١٩١هـ/١١٩١م)	
- الحميري، الروض المعطار (٧١٠هـ/١٣١٠م)	
- ابن أبي زرع، القرطاس، (٧٢٦هـ/١٣٢٥-١٣٢٦م)	
- الجزائلي، جنى زهرة الآس، (٧٦٦هـ/١٣٦٤-١٣٦٥):	
- الوزان، وصف إفريقيا، (ق ١٦هـ/١٦م)	
- الكتاني، سلوة الأنفاس، (ق ١٩هـ/١٩م)	

نستخلص انطلاقاً من هذا الجدول؛ أن معظم المصادر التاريخية تؤيد فكرة تأسيس بناء مدينة فاس من قبل المولى إدريس بن إدريس، وليس من قبل إدريس بن عبد الله، الأمر الذي يطرح عدة إشكالات تاريخية، خاصة أمام وجود مدينتين منفصلتين، وكيف يمكن لأمر أن يشيد مدينتين في الوقت نفسه؟ وهل استطاعت الدراسات الحديثة أن تحسم في هذه الخلافات المصدرة بناءً على دلائل تاريخية أخرى غير النصوص المصدرة؟

٢/١- الدراسات والأبحاث المعاصرة وآراء أصحابها في قضية التأسيس:

لقد سعت الدراسات التي اهتمت بقضية تأسيس مدينة فاس، إلى البحث عن مخرج من هاتين الروايتين المصدريتين، فتباينت بذلك ردود الفعل بين مؤيد للرواية الأولى وآخر مؤيد للرواية الثانية^(٢١) التي اعتبرت رسمية، وأضحت المسألة محسوم في أمرها على الأقل بالنسبة للتاريخ المدرسي^(٢٢) والوثائق السياحية، وكذلك أيدها مجموعة من الباحثين سواء منهم المغاربة^(٢٣) أو المستشرقين^(٢٤)، إلا أن ذلك لم يمنع من وجود بعض الباحثين خاصة المستشرقين منهم، الذين سعوا إلى تأكيد أسبقية إدريس بن عبد الله في قضية تأسيس المدينة، ونشير في هذا الصدد إلى الباحث ليفي بروفنسال، الذي انطلق من إشكالية رئيسة، وهي التساؤل عن السبب الذي جعل إدريس بن إدريس يقوم بتشيد مدينتين عوض مدينة واحدة، وخلق ازدواجية حضرية "غير طبيعية"، وبذلك طرح احتمال تأسيس عدوة الأندلس من قبل إدريس بن عبد الله، وأكد على ذلك بالاعتماد على:

لانشغالات إدريس بن عبد الله بالحروب في تامسنا وتادلا فإنه لم يهتم بتطوير المدينة، وبعد وفاته ووفادة العرب من القيروان والأندلس، كان انتقال إدريس بن إدريس إلى المدينة التي بناها أبوه، والتي رأوا أنها همشت حتى أصبحت عبارة عن قرية، فعزم إدريس الثاني على تشييد مدينة حقيقية إلى جانب المدينة السابقة، في موقع أكثر ارتفاعاً ولكنه أغنى ماء، واستخلص في الأخير أن الفاصل الزمني بين المدينتين يبلغ عشرين سنة، لا سنة واحدة، وقد تكونت الأولى بربرية بكاملها على يد إدريس الأول والثانية معربة على يد إدريس الثاني.^(٣١)

انطلاقاً من هذين الرأيين يتضح أن الدلائل التي اعتمدها المستشرقون في التأكيد على أن إدريس بن عبد الله هو أول من قام ببناء المدينة تتمثل في الروايات المصدرية، والنقود المؤرخة بفترة قبل سنة ١٩٢هـ، وبما أن الباحث دانييل أوسطاس (D.EUSTACHE) الخبير في المسكوكات المغربية،^(٣٢) نفى هذا الأمر فإن الدليل المتبقي هو الروايات المصدرية، ليعاد السؤال من جديد، من قام ببناء هذه المدينة؟ لقد أثبت الاعتماد على النصوص المصدرية لوحدها عدم إمكانية الحسم في هذه القضية التاريخية، وأمام عجز ميدان النميات أيضاً، وصعوبة الاعتماد على البحث الأثري نظراً لاستمرارية الاستقرار في المدينة، وصعوبة القيام بحفريات تاريخية، تبرز الطبونيميا كمصدر آخر من مصادر التأريخ، فكيف يمكن أن تساهم في حل هذا الإشكال التاريخي؟

٣/١- "عين عمير" ودورها في إثبات رواية تأسيس المدينة من قبل إدريس بن إدريس:

إذا ما اقتنعنا بنظرية تأسيس المدينة من قبل إدريس بن عبد الله، فهذا يلغي تماماً الرواية الثانية التي تورد المحاولة الأولى والثانية لإدريس بن إدريس، وإرساله في المرة الثالثة لوزير عمير بن مصعب الأزدي من أجل اختيار موضع مناسب، إلا أن الدلائل الطبونيمية تؤكد قيام عمير بهذه الرحلة، وتوقفه بمنطقة "عين عمير" الحالية، التي تنسب إلى الوزير عمير بن مصعب الأزدي^(٣٣)، ونجد بأن تسمية هذه العين ارتبطت بحدث تاريخي، حسبما تورد المصادر^(٣٤)، ألا وهو حدث تأسيس مدينة فاس، وبالضبط إرسال المولى إدريس لهذا الوزير ليرتاد موضعاً للمدينة^(٣٥)، حيث يذكر الجزنائي "واستشار وزيره عمير بن مصعب الأزدي ليرتاد له موضعاً للمدينة فسار عمير في جماعة من قومه لينظر ما طلب، فاخترق تلك النواحي، إلى أن نزل على عين ماء غزيرة مطردة في مروج نضرة، فتوضأ منها هو ومن كان معه، وصلى بهم حولها، ثم دعا الله تعالى أن يهون عليه مطلبه، وأن يدلّه على موضع يرتضيه لعبادته، فسميت العين عين عمير إلى الآن"^(٣٦)، ومن محاسن الصدق احتفاظ المكان باسم عين عمير لحد الآن، وهذا الاحتفاظ دال على أن هذا الوزير قام بهذه العملية، وقام بالبحث عن موضع يصلح لبناء المدينة، وفي خضم هذه العملية مر من هذا الموضع فنسب له، وبقي دليلاً على قيامه بهذه الرحلة التي كلفه بها إدريس بن

• نقود مؤرخة (des monnaies datées): حيث ذكر أن المكتبة الوطنية بباريس تضم درهما ضرب في فاس سنة (١٨٩هـ/٨٠٥م)، أي قبل سنتين من تأسيس المدينة حسب الرواية الرسمية، ودرهما آخر محفوظ في متحف (kharkoff) مؤرخ في سنة (١٨٥هـ/٨٠١م)^(٣٥)، إلا أن هذا الدليل ضحده باحثون آخرون، حيث أوضح كل من سعيد النجار وأحمد اليابوري، أن هناك تناقضاً في نظرية بروفنصال، فدانييل أوسطاس (D.EUSTACHE) الخبير في المسكوكات المغربية، أثبت عدم وجود نقود إدريسية عثر عليها تحمل اسم فاس، وأن القطعتين الواردتين عند بروفنصال ليست من ضرب الأدارسة، فالدرهم الأول يحمل تاريخ ١٨٤هـ وليس ١٨٩هـ، ولم يضرب في فاس، أما الدرهم الثاني، فإن دار الضرب غير واضحة عليه، ومن المحتمل أن الأمر يتعلق بتدغة وهو يحمل فوق هذا اسم قيس ابن يوسف.^(٣٦)

• نصوص مصدرية: ويسوق في هذا الصدد روايات تاريخية لمجموعة من المؤرخين الذين أكدوا أن إدريس بن عبد الله هو الذي أسس مدينة فاس وهم: أبو بكر أحمد بن محمد الرازي القرطبي^(٣٧) (ت ٣٤٤هـ)، وابن سعيد المغربي^(٣٨) (القرن ١٣)، ونصين لأبي الحسن النوفلي، ونص خامس لمؤلف مجهول في "الزهرات المنثورة في الأخبار الماثورة".

وكملاحظة رئيسة من خلال هذه النصوص؛ يتضح أن ليفي بروفنسال اعتمد على النصوص التي لم تصل إلينا بشكل مباشر لتبرير فرضيته وانطلاقاً من هذه النصوص الخمسة استخلص ثلاث مراحل لتاريخ تأسيس مدينة فاس:

- مرحلة أولى تأسيس عدوة الأندلس من قبل إدريس بن عبد الله.
 - مرحلة ثانية: تأسيس عدوة القرويين من قبل إدريس بن إدريس.
 - مرحلة ثالثة: هجرة الأندلسيين وتخفيف الطابع البربري لعدوة الأندلسيين.^(٣٩)
- وفسر بروفنصال الخلط الذي وقع في الرواية الرسمية بمجموعة من المبررات، التي ارتبطت بالتطابق بين اسمي إدريس بن عبد الله، وإدريس بن إدريس، بالإضافة إلى التصحيف الذي يمكن أن يطال كلمة سبعين وتسعين.

وقد ذهب لوطورنو مع هذا التوجه، الذي يؤكد بناء المدينة سنة ١٧٢هـ، أي قبل وصول إدريس بن إدريس بكثير، وتسائل بداية عن سبب بناء مدينتين،^(٣٠) ولم يجد أي تبرير لهذا القرار "المدهش"، مما حدا به إلى الاقتناع برأي بروفنسال، وأضاف تبريرات خاصة به، حيث اعتبر أن إدريس بن عبد الله هو الذي تكفل بتأسيس مدينة فاس، سنة (١٧٢هـ/٧٨٩م)، وبنائها البربر وعمروها، ونظراً

الروايات المصدرية التي تحدثت عن دلالة اسم فاس، ومن أهم هذه الآراء:

١/٢- روايات مرتبطة بالفأس:

رواية ابن سعيد المغربي: "وقد ذكر ابن سعيد أنها سميت فاس لأنهم لما شرعوا في بناء أساسها وجدوا فأساً فسموها به"^(٣٨). أما رواية ابن أبي زرع، وهي روايتان:

- الأولى هي أن "إدريس لما شرع في بنائها كان يعمل فيها بيديه مع الصناع والفعلة والبنائين تواضعاً منه لله تعالى ورجاء الأجر والثواب، فصنع له بعض خدمته فأساً من ذهب وفضة، فكان إدريس رضي الله عنه يمسكه بيده ويبتدئ به الحفر.. " ولكثرة تردد الفأس على ألسنة الصناع" هاتوا الفأس، خذوا الفأس، احفروا بالفأس، فسميت فاس لأجل ذلك"^(٣٩)
- الثانية هي أنه لما شرع في حفر أساسها من جهة القبلة" وجد في الحفر فأساً كبير طوله أربعة أشبار، وسعته شبر، وزنته ستون رطلاً، فسميت المدينة به"^(٤٠).

٢/٢- رواية تنسب الاسم إلى مدينة قديمة اسمها "ساف":

ابن أبي زرع: وهي رواية ارتبطت بالمؤرخ ابن غالب في تاريخه، حيث ذكر هذا الأخير إن إدريس بن إدريس التقى براهب كبير السن، لما عزم على بناء مدينة فاس، وأخبره بشيئ سمعها من راهب قبله "توفي منذ مئة سنة أنه وجد في كتاب علمه أنه كان بهذا الموضع مدينة تسمى ساف خربت منذ ألف وسبعمئة سنة، وأنه يجدها ويحيي دائرها ويقوم دارسها رجل من آل النبوة يسمى إدريس، يكون لها شأن عظيم وقدر جسيم"^(٤١)، ويبرر ابن أبي زرع صحة هذه الرواية عبر ذكر رواية البرنسي الذي أورد أن هناك رجلاً من اليهود احترف أساس دار بينهما لسكناه بقنطرة عزيلة من المدينة المذكورة.. فوجد في الأساس دمية رخام على صورة جارية منقوش على صدرها بالقلم المسند (هذا موضع حمام عمر ألف سنة ثم خرب فأقيم موضعه بيعة للعبادة)^(٤٢)، وعندما أتم إدريس بناء المدينة سئل عن اسمها فأجاب: "نسبها باسم المدينة التي كانت قبلها في موضعها الذي أخبرني الراهب أنه كان هناك مدينة أزيلية من بنيان الأوائل فخربت قبل الإسلام بألف وسبعمئة سنة، وكان اسمها مدينة ساف، ولكن اقبلوا اسمها الأول وسموها، فقبلوه فأتى منه فاس فسميت مدينة فاس، وهذا أصح في تسميتها"^(٤٣)

٣/٢- رواية تنسبها لاسم العلم البشري "فارس":

ابن أبي زرع: الرواية الثالثة التي تذكر أن خاصة الأمير إدريس بن إدريس سأله عند بداية تأسيسها "كيف نسبها؟ قال: سموها باسم أول رجل يطلع عليكم" فمر رجل اسمه فارس ولكنه كان "ألثغ" فنطق اسمه على شكل فاس بعد أن أسقط الراء.

إدريس، وبذلك نجد تطابقاً بين ما ورد في الروايات المصدرية من جهة، والمعطيات الطبونيمية من جهة ثانية، وانطلاقاً من هذه المعطيات يمكن أن نقبل بفرضية تأسيس المدينة من قبل إدريس بن إدريس، ليعود السؤال حول بناء مدينتين للواجهة، فما السبب الذي دفع إدريس إلى بناء مدينتين عوض واحدة؟ في هذا الإطار يمكن أن نطرح فرضيتين:

- الفرضية الأولى: الانطلاق من فكرة بناء مدينة واحدة، يمر في وسطها نهر، وبما أن المصادر التاريخية التي أوردت إشارات بخصوص تأسيس مدينتين جاءت متأخرة، وجاءت بعد فترة الصراعات بعد وفاة إدريس بن إدريس، وبالضبط في الفترة الزناتية والصراع بين الفتوح وعجيسة، وبذلك يعتقد أن بناء الأسوار بين المدينتين، كان في فترة الصراع، وليس في المرحلة الأولى للبناء.
- الفرضية الثانية: أن إدريس بن إدريس قام بالاستقرار بعدة الأندلس وبنى بها منشآت عمرانية، وأحاطها بالأسوار، إلا أنه واجه مشكل عدم كفاية المياه، وصعوبة وصول مياه النهر إليها^(٣٧)، التوجه إلى الضفة الأخرى من الوادي، والتي سمحت وضعيتها الطبوغرافية بمرور المياه في كل أنحاءها، وقام مرة أخرى بتسوير المدينة التي اعتبرها المدينة الرئيسية، وترك المدينة الأولى للأجناد والخيول، وبذلك يمكن اعتبار بناء عدوة الأندلس مجرد محاولة من بين المحاولات التي قام بها الأمير، مع استحضار المحاولة الأولى التي كانت بسفح جبل زلاغ، والثانية التي كانت بسبو، إلا أن استقرار الأندلسيين بالعدوة والصراع الذي نشأ بين الأمراء اللاحقين من جهة ثانية أدى إلى تقوية هذه العدوة وتطورها.

خلاصة القول: إن اعتماد الباحث على المعطيات المصدرية لوحدها في الحسم في هذه القضية التاريخية لن يساهم في إعطاء نفس جديد للبحث، بل سيكون هناك تكرار لما سبق، لذلك وجب البحث عن معطيات مصدرية أخرى، ولعل المعطيات الطبونيمية تُعدّ وسيلة أساسية لترجيح هذا الرأي أو ذاك، والاعتماد على العلم المكاني "عين عمير" الذي لا زال موجوداً لحد الآن، استطعنا من خلاله الاقتناع برواية إرسال إدريس بن إدريس لوزيره عمير بن مصعب، وبذلك ترجيح بناء المدينة من قبل هذا الأمير لا أباه.

ثانياً: الدلالة اللغوية والتاريخية لاسم "فاس"

من بين الإشكاليات الرئيسية التي تواجه الباحث في مدينة فاس، دلالة اسم "فاس"، حيث لازال الباحثون يطرحون عدة فرضيات بخصوص هذه الدلالة، ولم تستطع لحد الآن لا الروايات المصدرية ولا المعاجم اللغوية الحسم في هذه القضية، ولكن ماهي أهم هذه الفرضيات المستنتجة من الروايات المصدرية؟ وما الفرضيات التي قدمها الباحثون بخصوص هذه الدلالة؟ تعددت

٤/٢- رواية تنسبها لجماعات من "الفرس":

ابن أبي زرع، وهي الرواية الرابعة لهذا المؤرخ، والذي ربط سبب التسمية بالفرس الذين استوطنوا في المدينة حين تأسيسها "فسميت مدينة الفرس، ثم خفف الناس الاسم فقالوا مدينة فارس ثم أسقطوا الراء من اللفظ اختصاراً فقالوا مدينة فاس"^(٤٤).
٥/٢- رواية أخرى:

رواية الحسن بن محمد الوزان الفاسي: "وسميت هذه المدينة فاساً لأنه عُثِر في أول يوم شرع في حفر الأرض لإرساء الأسس على كمية من الذهب تحمل بالعربية اسم فاس"^(٤٥). وقد رفض مترجما الكتاب هذا الرأي، واعتبره خاطئاً.

إن كل رواية من هذه الروايات تثير العديد من التساؤلات:

بالنسبة للرواية الأولى المرتبطة بالفأس، فإن هناك تناقضاً ظاهراً، فإدريس حاول أن يساهم بنفسه في تشييد المدينة "تواضعاً منه لله تعالى ورجاء الأجر والثواب"^(٤٦)، وفي المقابل نجد بأن هذا الثواب لم يكتمل خاصةً مع صنع فأس خاص لإدريس الثاني من الذهب والفضة، وقد تنبه إلى هذا الأمر كل من الجزنائي وابن القاضي.^(٤٧) ووجود الفأس بذلك الحجم هو أمر بعيد نسبياً عن الواقع، وقريب من خيال الفرد والمجتمع، الذي سعى إلى تضخيم مسألة بناء المدينة.

الرواية الثانية: يبدو أن هذه الرواية مستنبطة من السيرة النبوية والمرتبطة بالراهب بحيرا الذي تنبأ بمستقبل الرسول (ﷺ)، ويبدو أن هذه الرواية تسعى إلى وضع شخصية إدريس بن إدريس في مكانة دينية مميزة، باعتباره هو الأمير الذي سيعيد بناء هذه المدينة، والشخصية التي تنبأ بها الراهب، أكثر من كونها تخبرنا بمدينة ساف، ولم نستطع الوصول إلى مدينة في التاريخ القديم تحمل هذا الاسم، أو على الأقل نتحدث عن وجود مدينة في المنطقة، إلا أن ذلك لا ينفي وجودها.

الرواية الثالثة: هل يمكن لإدريس بن إدريس أن يعتبر تسمية المدينة التي اختطها مجرد أمر ثانوي، حتى يغامر ويترك الأمر للصدفة والحظ المرتبط بمرور أول شخص؟

الرواية الرابعة: إن العدد القليل للفرس الذين توافدوا على المدينة مقارنةً بباقي الفئات الاجتماعية، يجعل هذه الرواية مشكوك في أمرها.

وأمام انسداد أفق البحث بالاعتماد على النصوص المصدرية، توجه العديد من الباحثين إلى الدراسة اللغوية اللسانية، فوضع احتمال نسبة الكلمة للغة غير اللغة العربية، وبما أن العناصر التي كانت تقطن في المنطقة قبل الشروع في البناء، وبعده أغلبها أمازيغية، فكانت معظم الاجتهادات تصب في هذا الصدد، وهكذا قدم الباحث محمد شفيق احتمال اشتقاق كلمة "فاس" من كلمة "أسيف" التي تعني النهر باللغة الأمازيغية، وهي عامة الاستعمال، وفي بعض الأحيان تنطق سيف في الزناتية، جمعها (إسافن) بتضعيف الفاء وتصغيرها (تاسيفت وتانسيفت)^(٤٨)، إن هذه

الفرضية تأخذ مبرراتها من وجود النهر الكبير وسط فاس، فهل بالفعل كلمة فاس مشتقة من أسيف؟ وإذا كان الأمر كذلك فكيف تحولت هذه الكلمة؟

أورد محمد حمام اقتراحاً آخر، فاعتبر اشتقاق الاسم من جذر (فس) الذي تكونت منه كلمتا إفسن، وتافوست، فالأولى تعني الانفتاح فيقال إفسن أُوْجِدِيكَ أي انفتح الزهر وأينع، أما تافسوت فهو فصل الربيع الذي تنفتح فيه الأزهار، فاس تتميز بالانبساط والانفتاح، وبذلك تكثر الأزهار.

اقتراح آخر من قبل الباحث نفسه، وهي كلمة (أفاسي) التي تعني الأيمن، أي المدينة الأولى (عدوة الأندلس) التي بُنيت على الضفة اليمنى للنهر الذي يحمل الاسم نفسه، علمًا بأن الزناتيين كانوا ولا يزالون يسقطون ألف البداية في الأسماء الأمازيغية. وربما بمرور الوقت كذلك لم تعد تنطق الياء مكسورة وتم الاحتفاظ بكلمة فاس مجردة من ألف البداية وباء النهاية.^(٤٩)

إن عمل الباحثين هذا ركز على البحث على كلمات أمازيغية مشتقة من الأحرف المكونة لمدينة "فاس" أي الفاء والألف والسين، وهذا الطريق الذي سلكه الباحثون كان بعدما عجزوا عن العثور على كلمة متطابقة تماما مع اسم المدينة، وإذا بحثنا في القاموس اللغوي الأمازيغي يمكن أن نجد احتمالات أخرى غير كلمة أسيف وفس وأفاسي، وهذه الاحتمالات الواردة في الجدول أسفله يمكن أن تطرح فرضيات جديدة، وقد يجد الباحث في هذه القضية علاقة محتملة بين جل هذه المصطلحات من جهة ومدينة فاس من جهة ثانية، خاصة أن هذه المدينة كانت عاصمة سياسية وثقافية واقتصادية وغيرها، وهذا يجعل سهولة ربط وصف للمدينة بدلالة كلمة أمازيغية معينة، وهنا نطرح بعض النماذج:

الكلمة الأمازيغية	ترجمتها بالعربية	علاقتها المحتملة بالمكان المدرس
امسانف ^(٥٠)	محايد	
أسيليف ^(٥١)	الحركة	يحتمل أن تكون المدينة قد شهدت حركة اقتصادية كبيرة مما جعل هذه الصفة تنطبق عليها، لتحرف الكلمة فيما بعد إلى فاس.
إفوس ^(٥٢)	الجنوب	هل يمكن أن تكون المنطقة قد حملت هذا الاسم؟ والذي يحتمل أنه أطلق من قبل مجتمعات كانت موجودة في شمالها، ثم عرف تحولا من إفوس إلى فوس ومنها إلى فاس.

بالعودة إلى المعجم اللاتيني الفرنسي الصادر سنة ١٩٣٧، نجد كلمة لها نفس نطق كلمة فاس، (Fās) والتي ترجمت بالحق الإلهي،^(٦٩) وهناك مَنْ يترجمها بالحق فقط، وهذا يحيلنا على حقوق المواطنة التي كانت تمنحها السلطات الرومانية لبعض سكان المستعمرات، سواء في المدن أو البادية، وبذلك يحتمل أن المنطقة كانت تضم تجمعاً سكانياً إما عبارة عن قرية أو مدينة، وخضع أهلها إلى السلطة الرومانية، التي أعطت السكان حق المواطنة، على حساب مناطق مجاورة أخرى، فاشتهرت المنطقة باسم (Fās)، وجاء الأدراسة فيما بعد ليحتفظوا بالاسم نفسه، وربما تجد هذه الفرضية ما يؤيدها في المصادر، خاصة ما ورد عند ابن أبي زرع، بكون المنطقة كانت تضم مدينة قديمة تسمى بـ"ساف".^(٧٠)

خاتمة

انطلاقاً مما سبق؛ يمكن أن نعيد ترتيب الأحداث التي عرفتها المنطقة قبل وبعد بناء المدينة، والمتمثلة في وجود تجمع سكاني خضع للنفوذ الروماني واستفاد من حقوق المواطنة -إذا رجحنا انتماء كلمة فاس للمعجم اللغوي اللاتيني- فسميت المنطقة بـ"فاس"، وجاء فيما بعد إدريس بن إدريس، وأرسل عمير بن مصعب لاختيار موضع لبناء المدينة، فمر من منطقة "عين عمير" الحالية، وترك بصمة تدل على مروره، واختار موضعاً للمدينة التي يحتمل أنها كانت تضم منشآت عمرانية، ولم تكن فارغة تماماً، خاصة أن قبيلتي زواغة وبني يزغتن فاوضتا إدريس في بيع أراضيها -إن صدقت الرواية- وهذا دليل على وجود تجمع سكاني قبل البناء، بل أكثر من ذلك لا زالت الطبونيمية الحالية تشهد على تواجد عناصر في المكان قبل بناء المدينة، ومنها عناصر مجوسية، حيث ضمت الشيبوية بيت نارهم،^(٧١) وقام هذا الأمير ببناء مدينة جديدة، فانطلق من الضفة اليمنى للوادي، إلا أنه وجد مشكلة قلة المياه وصعوبة انتقال مياه النهر إلى هذا المكان، فاحتفظ به ونقل مركز قراراته إلى الضفة اليسرى.

الكلمة الأمازيغية	ترجمتها بالعربية	علاقتها المحتملة بالمكان المدروس
تافسوت ^(٥٣)	فصل الربيع	
أفلس ^(٥٤)	الإيمان	هل هناك علاقة بين عدد الأولياء الكبير، الذين اتصفوا بإيمانهم، واسم مدينة فاس؟
أفارس ^(٥٥)	الإنتاج، ويقال مثلاً: أفارس نتكرزا أي الإنتاج الفلاحي. الإنتاج الفلاحي بهذه المدينة وأحوازها، فهل لهذا الأمر علاقة باسمها.	أشارت المصادر التاريخية ^(٥٦) إلى وفرة الإنتاج الفلاحي بهذه المدينة وأحوازها، فهل لهذا الأمر علاقة باسمها.
افس ^(٥٧)	صفق	
تافلست ^(٥٨)	الثقة	
تاسفسيت ^(٥٩)	الفولاذ	
أفتاس ^(٦٠)	الميناء	هل كان نهر فاس يضم ميناء؟
أفوس/إفاسن ^(٦١)	اليد/الأيدي	
اسوفسن ^(٦٢)	الريف	
تافلست ^(٦٣)	الأمان	
أسياف ^(٦٤)	الجزء	
تاسافوت ^(٦٥)	مشعل	
تافوناست ^(٦٦)	البقرة	
أسف/ وسفان ^(٦٧)	اليوم/ الأيام	

إن الملاحظة الأولية من خلال هذا النموذج هي كثرة الاحتمالات والفرضيات التي يمكن أن يقع فيها الباحث في هذه القضية، خاصة أمام غياب كلمة فاس بهذا النطق بالمعجم الأمازيغي، وعدم تأكيد وتوحيد الرؤى المصدرية حول دلالة اسم فاس، وكان الهدف الأساسي من وراء وضع هذا الجدول هو إثارة انتباه الباحثين إلى احتمالات لغوية جديدة، يمكن أن يكون له ارتباط باسم "فاس"، وإذا صدق احتمال اشتقاق الكلمة من اللغة الأمازيغية، فإن مسألة التحريف التي ترافق نقل اسم العلم من لغته الأصلية إلى لغة أخرى تبدو واضحة، وكان هذا المشكل سبباً في وضع هيئة الأمم المتحدة لدليل من أجل توحيد كتابة الأسماء.^(٦٨)

وكما ذكرنا سابقاً يعجز المعجم العربي والأمازيغي عن مدنا بكلمة "فاس"، مما يفرض علينا اختيار طريق لغوي آخر، وبما أن الحضارة الرومانية قد مرت من المغرب، واستقرت في مدينة ويلي، التي كانت غير بعيدة عن موضع "فاس"، فإن احتمال نسبة هذه الكلمة للمعجم اللاتيني يبقى وارداً، فما هي الإمكانيات التي يمكن أن يوفرها هذا المعجم؟

Longnon AUGUSTE, Les noms de lieu de la France, Leur origine, leurs signification, leurs transformations, Paris, 1920-1929, p16-
http://www.larousse.fr/dictionnaires/francais/onomastique/56059

انظر أيضًا: الدراسة التي قام بها الباحث الفرنسي (Xavier GOUVERT) في إطار عمل الدكتوراه حول موضوع إشكالات ومناهج العمل الطبونيمي.

Xavier GOUVERT, Problèmes et méthodes en toponymie Française. Essais de linguistique historique sur les noms de lieux du roannais, these pour obtenir le grade de docteur, Université Paris, 2008, p32.

(٣) أبي القاسم بن حوقل النصيبي (ق١٠٥٤هـ. م). كتاب صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٩٢، ص ٨٩.

(٤) أبو عبيد الله البكري (ت٤٨٧هـ)، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٨٥٧، ص ١٢٣.

(٥) أبو عبيد الله البكري، م. س، ١١٥.

(٦) مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، بغداد، د.ت، ص ١٨٠.

(٧) لم يصل إلينا كتاب ابن سعيد الخاص بالمغرب، والذي هو جزء من كتاب "المغرب في حلى المغرب"، انظر:- تقديم شوقي ضيف لكتاب المغرب في حلى المغرب، ط٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٥، ص ح- محمد عبد القادر خريسات وآخرون، في تحقيق كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، لابن فضل الله العمري، ج٤، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات، ٢٠٠١، الهامش ١، ص ١٠٧.

(٨) أحمد بن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. تحقيق وتعليق مصطفى أبو ضيف أحمد، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط١١٨، ١٩٨٨، ص ١١٨.

(٩) نقلاً عن: أبي العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ١٤ جزء، دار الكتب الخديوية، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩١٥، ج٥، صص ١٥٣ - ١٥٧.

(١٠) محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار. تحقيق إحسان عباس، ط٢، مكتبة لبنان، ١٩٧٤.

(١١) ابن أبي زرع، الأتيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ط١، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢، ص ٣٥.

(١٢) المصدر نفسه والصفحة.

(١٣) نفسه، ص ٣٦.

(١٤) نفسه، ص ٣٧.

(١٥) المصدر نفسه والصفحة.

(١٦) نفسه، ص ٣٩.

(١٧) الحسن بن محمد الوزان، وصف إفريقيا، ج١، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣، ص ٢١٨.

(١٨) نفسه، ص ٢٢٠.

(١٩) أحمد ابن القاضي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور، الرباط، ١٩٧٣-١٩٧٤، ج١، ص ٣٩.

(٢٠) محمد بن جعفر الكتاني، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقب من العلماء والصلحاء بفاس، ٣ أجزاء، تحقيق عبد الله الكامل الكتاني، حمزة بن محمد الطيب الكتاني، محمد حمزة بن علي الكتاني، دار الثقافة، الدار البيضاء، ٢٠٠٤، ج١، ص ٧٥.

(٢١) أي الرواية التي تؤكد تشييد المدينة من قبل ادريس بن ادريس.

(١) أو على الأقل عدم وصول المصادر التاريخية التي كتبت في فترة التأسيس، أو في مرحلة قريبة منها.

(٢) يقصد بالأماكنية "العلم الذي يدرس أسماء وأعلام الأماكن ذات العلاقة بالإنسان: سكاكًا وارتبًا بغية الوصول إلى فهم علاقة الاسم بالمسمى وتفسيرها، وإدراك الصلات التي يقيمها الإنسان مع هذه الأماكن"، من خلال البحث عن معانيها وتفسيراتها، وضبط تحولاتها، وتحديد قيمتها التراثية والفكرية، وملامح التغير في أنساقها اللغوية، والطبونيميا هو مصطلح يوناني، مشتق من كلمتين (topos) وتعني مكان، و (onoma) وتعني الاسم، وبذلك فهو علم يعنى بدراسة أسماء الأماكن، من حيث أقدميتها أو تاريخها، دلالاتها اللغوية والتاريخية، أصولها، تطوراتها. وتندرج الطبونيميا ضمن فرع الأونوماستيك، الذي يهتم بدراسة أسماء الأعلام بصفة عامة، وينقسم إلى قسمين، الطبونيميا، والأنتروبونيميا، هذا الأخير يهتم بدراسة الأعلام البشرية وتحديد دلالاتها وأصولها. وقد ذهب مجموعة من الباحثين المغاربة إلى استعمال مصطلح الأونوماستيك للدلالة على حقل علم الأماكن، باعتبار أن هذا التخصص العلمي قد تضخم، وأن جل الدارسين بشمال إفريقيا عامة وبالمغرب خاصة استعملوا هذا المصطلح للدلالة على الأعلام الجغرافية، وهذا أمر يعارض مع الأصول اللغوية للكلمات الإغريقية، فكلمة (Onomastique) مشتقة من الاسم الإغريقي (Onoma) والتي تعني الاسم، وبذلك فهو علم دراسة الأسماء بصفة عامة، وفي هذا الصدد يستعمل أحد الباحثين الأوائل الذين درسوا أماكنية فرنسا كلمة (toponomastique)، وذلك لتخصيص علم أسماء الأماكن عوض (ONOMASTIQUE)، وقد عرفها المعجم (larousse) بكونها فرع من فروع اللسانيات، الذي يدرس أسماء الأعلام، ويؤكد أيضًا أنه ينقسم إلى قسمين، قسم الطبونيميا الخاص بدراسة أسماء الأماكن، والأنتروبونيميا الخاص بدراسة أسماء الأعلام البشرية. (٢) وهذا الأمر يفرض على الباحث الالتزام بالمصطلحات حسب أصولها اللغوية، وإذا كان معظم الباحثين في التاريخ القديم قد استعملوا هذا المصطلح، فإن الباحثين في باقي الحقب التاريخية يستعملون مصطلح الطبونيميا. (٢) وللإشارة فإن معظم الدراسات الفرنسية الحديثة تستنتج التعريف نفسه، وتحتفظ بالمفهوم الأصلي لكلمة (Onomastique)، والتي تتفرع عنها كلمة (Toponymie).

وتسعى "الطبونيميا" أو علم "الأماكنية" إلى الإجابة على مجموعة من الأسئلة من قبيل: كيف ظهرت أسماء الأعلام المكانية؟ وما المقاييس الثقافية التي تحكممت في اختيار اسم دون آخر؟ ما طبيعة التطورات التي شهدتها؟ وما المعايير التي تؤدي إلى هيمنة اسم على حساب الآخر؟ ما الدلالات اللغوية والتاريخية الماضية والأنية للعلم المكاني؟ وإلى أي حد تمكننا هذه الدلالات من وضع نسق متكامل لأعلام مكانية موحدة حسب الإطار الزمني أو المجالي أو السياسي...؟ ما التطورات التي شهدتها لغة المتن الأماكي؟ وهل يمكننا من خلال رصد هذه التطورات تلمس خصائص اللغة المتداولة في فترة زمنية محددة؟ ما الخصائص الثقافية للمجتمع المدروس انطلاقًا من الدراسة التصنيفية لهذه الأعلام المكانية؟

انظر في هذا الصدد: عبد الإله بلملح، محاضرات في مجزوءة الطبونيميا، سلك الماستر، ٢٠٠٩-٠١-٠٥، غير مطبوعة- محمد البركة وآخرون، الطبونيميا بالمغرب الإسلامي أو ضبط الأعلام الجغرافية، مقدمات في الفهم والمنهج والعلائق، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠١٢، ص ١٤- عبد العزيز أكبر، المقاربة الأونوماستية مالها وما عليها، أعلام وطبونيميا المغرب القديم، تنسيق عبد العزيز أكبر، كلية الآداب، بني ملال، ٢٠١٢، صص ١٧-٣٤، ص ١٨.

- (٣٨) أحمد بن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. مصدر سابق، ص ١١٨.
- (٣٩) القرطاس، ص ٥٣ - ٥٤.
- (٤٠) نفسه، ص ٥٤.
- (٤١) علي بن أبي زرع، م.س، ص ٤٦.
- (٤٢) المصدر نفسه والصفحة.
- (٤٣) نفسه، ص ٥٤.
- (٤٤) المصدر نفسه والصفحة.
- (٤٥) الحسن بن محمد الوزان القاسي، وصف إفريقيا. مصدر سابق، ص ٢١٨.
- (٤٦) القرطاس، م.س، ص ٥٣.
- (٤٧) رفض كل من الجزنائي وابن القاضي أمر تسمية فاس إلى هذه المسألة، بحكم أن إدريس لا يجهل تحريم مثل ذلك الفأس واستعماله، انظر: الجزنائي، م.س، ص ٢٤، ابن القاضي، م.س، ج ١، ص ٣٦.
- (٤٨) محمد شفيق، "في أن أسماء الأماكن في المغرب جلهما مازنغية". مجلة البحث العلمي، السنة ١٤، ٢٧٤، يوليو ١٩٧٧، ص ٣٣٣.
- (٤٩) محمد حمام، "بعض مظاهر الحضور الأمازيغي في المدينة المغربية: نموذج مدينة فاس خلال العصر الوسيط"، الندوة الوطنية بفاس ١٠ - ١١ - ١٢ مارس ٢٠٠٥، سلسلة مؤتمرات وندوات ٢-، كلية الآداب، فاس، ٢٠٠٥، ص ٤٤ - ٥٧.
- (٥٠) الأرضي مبارك، المعجم الأمازيغي العربي الوظيفي، عربي أمازيغي، ط ١، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ٢٠٠٨، ص ١٢.
- (٥١) الأرضي مبارك، م.س، ص ١٦.
- (٥٢) نفسه، ص ٢٤.
- (٥٣) نفسه، ص ٢٧.
- (٥٤) نفسه، ص ٣٧.
- (٥٥) نفسه، ص ١١٨.
- (٥٦) القرطاس، ط ١، م.س، ص ٤٣-٤٤.
- (٥٧) الأرضي مبارك، م.س، ص ١٠٤.
- (٥٨) نفسه، ص ١١٥.
- (٥٩) نفسه، ص ١٢٥.
- (٦٠) نفسه، ص ١٣٤.
- (٦١) نفسه، ص ١٤٨.
- (٦٢) نفسه، ص ١٥٠.
- (٦٣) نفسه، ص ١٧٧.
- (٦٤) نفسه، ص ١٨٠.
- (٦٥) نفسه، ص ١٨٤.
- (٦٦) نفسه، ص ٢٠٠.
- (٦٧) نفسه، ص ٢٠٦.
- (٦٨) دليل توحيد الأسماء الجغرافية على الصعيد الوطني، إعداد فريق الخبراء المعني بالأسماء الجغرافية التابع للأمم المتحدة، إدارة الشؤون الاقتصادية والاجتماعية، الشعبة الإحصائية، منشورات الأمم المتحدة، نيويورك، ٢٠٠٧.
- (69) F. GAFFIOT, Dictionnaire Latin Français, Hachette, paris, 1934, p654.
- (٧٠) علي بن أبي زرع، م.س، ص ٤٦.
- (٧١) ابن أبي زرع، القرطاس، م.س، ص ٣٩.

(٢٢) مجموعة من المؤلفين، فضاء الاجتماعيات، كتاب التلميذ، السنة الثانية من التعليم الثانوي الإعدادي، وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي، مطبعة المعارف الجديدة.

(٢٣) انظر في هذا الصدد رأي: محمد حجي، قضايا في سيرة إدريس الأزهر وتأسيس مدينة فاس، مساهمة ضمن متنوعات محمد حجي، نشرت بمناسبة صدور موسوعة أعلام المغرب، دار الغرب الإسلامي، ط ١، بيروت، ١٩٩٨، ص ١٧٧-١٨٤. وقد أثار هذا الباحث إشكاليتين للنقاش في مساهمته هاته، الأولى تساءلت عن كيفية تعلم إدريس بن إدريس للعربية بالرغم من أنه بربري المولد والمنشأ، والإشكالية الثانية وهي التي تهمنا، انتقد فيها رأي بروفنسال، وأشار أنه لأبأس في إنشاء مدينتين من قبل أمير واحد خاصة وأن هذا الأمير توافدت عليه العديد من الأسر من القيروان والأندلس بوليبي فكان رأيه وضع كل فريق في جهة، بالإضافة إلى ذلك يمكننا أن نفسر هذا التقسيم بطبيعة موقع مدينة فاس الذي يفصل بين العدوتين النهار الأمر الذي يحتم بناء مدينتين.

(24) Gaillard HENRI, UNE VILLE DE L'ISLAM : FÈS. Esquisse historique et sociale, J. ANDRÉ, ÉDITEUR, Paris, 1905, p4.

تم تحميل الكتاب من الموقع الإلكتروني التالي:

http://www.archive.org/stream/unevilledehisla01gailgoog/unevilledehisla01gailgoog_djvu.txt

بالإضافة إلى (GAUTIER) الذي سار مع الرواية الرسمية، انظر رأي بروفنسال في هذه المساهمة:

- E.Levi - PROVENCAL, les historiens des Chorfa ,suivi de la fondation de Fès, Maisonneuve Larose, Paris, 2001,p8.

(25) E.LEVI - PROVENCAL,ibed ,p9.

(٢٦) سعيد النجار وأحمد اليابوري في ترجمتهما لمقال ليفي بروفنسال، تأسيس مدينة فاس، تعريب سعيد النجار وأحمد اليابوري، مجلة البحث العلمي، العدد ٣١، السنة ١٦، الرباط، ذو الحجة ١٤٠٠/أكتوبر ١٩٨٠، ص ١٥٧ - ١٨٤، هامش ٢٠، ص ١٦٥.

(27) E.LEVI - PROVENCAL, op.cit ,p12.

(28) op.cit,p13.

(29) op.cit,p16.

(٣٠) روجي لوطورنو، فاس قبل الحماية. ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٦، ص ٥٧.

(٣١) روجي لوطورنو، فاس قبل الحماية. مرجع سابق، ص ٦١.

(٣٢) سعيد النجار وأحمد اليابوري في ترجمتهما لمقال ليفي بروفنسال، تأسيس مدينة فاس، تعريب سعيد النجار وأحمد اليابوري، مجلة البحث العلمي، العدد ٣١، السنة ١٦، الرباط، ذو الحجة ١٤٠٠/أكتوبر ١٩٨٠، ص ١٥٧ - ١٨٤، هامش ٢٠، ص ١٦٥.

(٣٣) انظر ترجمته: عبد الكبير الكتاني، زهر الأمل في بيوتات فاس، تحقيق علي بن المنتصر الكتاني، جزآن، ط ١، مطبعة منشورات النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ٢٠٠٢، ج ٢، ص ٢١٨-٢٢٠.

(٣٤) الجزنائي، جنى زهرة الأمل، مصدر سابق، ص ١٨. ابن القاضي، جذوة الاقتباس، م.س، ص ٢٩.

(٣٥) الجزنائي، المصدر السابق، ص ١٨.

(٣٦) نفسه.

(٣٧) عبد الرحمان ملولي ادريسي، النسق المائي بمدينة فاس إلى نهاية القرن الثالث عشر الهجري/ القرن التاسع عشر الميلادي، دراسة تاريخية ميدانية وثائقية، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، تحت إشراف د. مولاي هاشم العلوي القاسي، ثلاثة أجزاء، كلية الآداب ظهر المهراز، فاس، السنة الجامعية ١٩٩٧-١٩٩٨، ص ٩١.